مسقط المتخيّل السردي
في رواية أصابع مريم للكاتبة عزيزة الطائي

Muscat Narrative Imagination
In The Fingers of Meriem by Aziza Al-Taie

الدكتورة: نوال بومعزة

قسم اللغة العربية جامعة الوادي (الجزائر)
bch20092010@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/05/20 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تسليط الضوء على المنجز الروائي العماني أصابع مريم للكاتبة عزيزة الطائي، وقد قررت الخوض في عوالم المرأة العمانية وقضاياها النفسية والاجتماعية والثقافية. مركزّة علي صراع مرأة في فضاء سردي متخيّل أطرته مدينة مسقط أو ما اصطلحت عليه الكاتبة بالفضاء المسقطي، حيث تنطلق قصص مريم وبناتها الأربع الباحثات عن إثبات الذات من خلال التحرر من الأفكار التي تقهر المرأة وتقيّد أحلامها واختياراتها، انه صراع الأجيال برؤية جديدة ركزت من خلالها الكاتبة على علاقة الأم ببناتها، وبالتالي يمكن أن نطرح من خلال هذه الدراسة الإشكاليات الآتية: كيف تعاملت الكاتبة مع المدينة مسقط ونقلتها من الواقع إلى المتخّيل؟ أين تتجلى علاقة الصراع بين المدينة وشخصيات الرواية؟ كيف أسهمت تناقضات مدينة مسقط في إثراء القصص المتضمنة في الرواية؟ وكيف قدمت التقنيات السردية شحنات الصراع الكثيرة التي ميّزت مسار الأحداث؟

الكلمات المفتاحية: المتخيّل السردي، مدينة مسقط، رواية أصابع مريم، المدينة والقرية، المغلق/ المفتوح.

Abstract:

This study aims to try to shed light on the omani novelist's achievement The Fingers of Maryam by Aziza Al-Taie, who has decided to delve into the

worlds of Omani women and their psychological, social and cultural issues. Focused on the struggle of a woman in an imaginary narrative space framed by the city of Muscat or what the writer called the projected space, where the stories of Mary and her four daughters seeking self-realization begin by freedom from ideas that oppress women and restrict their dreams and choices, it is the struggle of generations with a new vision through which the writer focused on the relationship of mother and daughters. Thus, we can ask through this study the following problems: how did the writer deal with the city of Muscat and move it from reality to imagination? Where is the conflict between the city and the characters of the novel manifested? How did Muscat's contradictions enrich the stories in the novel? How did narrative techniques provide the many shipments of conflict that characterized the course of events?
Keywords: Narrative Visualizer, Muscat, City, Countryside, Closed/Open.

1- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية كل بحث في محاولة الكشف عن نصوص جديدة يكون للباحث السبق في تحليلها، وإبراز مواطن التميّز فيها، وقد برزت رواية أصابع مريم كمنجز سردي يبحث في علاقة جديدة من الصراعات الدرامية التي تصوّرها الروايات وهي علاقة الأم مع بناتها في مدينة مسقط التي كان وصفها مرهون بالحالة النفسية لكل شخصية، فتعدّدت الأصوات في الرواية وتعدّدت معها وجهات النظر ممّا فسح المجال أمام الفضاء المسقطي أن يتسع ليضم الجميع ويوّحدهم.

وقد استعنت في تحليل هذه الرواية بمنجزات السرديات الحديثة خاصة ما تعلق الأمر بالعتبات النصية وجماليات وأبعاد توظيفها حسب ما حددته دراسات جيرار جينيت G.Genette، أما عن ثيمات المكان فاعتمدت دراسة الناقد والمفكر الفرنسي غاستون باشلارG.Bachelard خاصة في تحديده للثنائية الضدية مغلق/ مفتوح، وربط المكان بالحالة النفسية لشخصيات الرواية.

لقد حفلت الرواية العمانية بالمكان، واكتسب من خلالها خصوصية الحضور، فهو يمثل أحد الأركان الأساسية في الكتابة الأدبية عامة، والكتابة الروائية خاصة، فلا يمكن أن نتصوّر الكاتب العماني لحظة الكتابة وهو يُلغي هذا الركن الأساسي، وحتى وإن غيّره فأهميته تبقى في تحديد الأحداث وصياغة الوقائع، وتعد الكاتبة عزيزة الطائي[1] واحدة من أبرز الكتّاب العمانيين

الذين اهتموا بوصف المكان وتحويل دلالته من الواقعية إلى عوالم المتخيل السردي، ولعّل هذا الاهتمام رافق الكاتبة منذ ولادة روايتها الأولى أرض الغياب التي صدرت عام 2013 وهاهي ذي عزيزة الطائي تواصل التمسك بهذة الثيمة المحورية في روايتها الثانية أصابع مريم التي صدرت 2020.

2. مسقط تتغلغل بين العتبات النصية في رواية أصابع مريم.

يبدو أنّ الكاتبة تقترب كثيرا ممّا سردته في رواية أصابع مريم[2]، وهي الرواية الثانية لها. تحاول في كل مرّة عبر مسارها الإبداعي البحث عن الذات العمانية من خلال منجزاتها الأدبية المتنوّعة بين الشعر والنثر.

اهتمت الكاتبة بتأثيث روايتها من حيث الشكل، فهندست استراتيجية تقديمية تعتمد على توظيف العتبات النصية كتقنية لتقديم الفصول، فهي " فتوحات ومفاتح تساعد النص على الحضور وتساعد الناقد على الكشف في مضمراته،وهي أيضا إشارات تنهض من العمق الجمالي لهذا التشكيل الذي ينحو باتجاه تخصيب وتخطيب تلك العتبات "[3] وقد أطلق الناقد الفرنسي جيرار جينت G.Genette النص الموازي pretexte والذي يرتبط " بالعنوان، العنوان الفرعي، العنوان الداخلي، التمهيدات، التذيلات، التصدير، الحواشي الجانبية، الحواشي السفلية، الحواشي المذيلة للعمل، العبارات التوجيهية، الزخرفة، أشرطة التزين... "[4].

اشتغلت الكاتبة عزيزة الطائي على العتبات النصية وأولتها عناية كبيرة من منطلق أهميتها في فهم النص، فبرز كعتبة نصية خارجية مشكلا من البنية الآتية: أصابع مريم، فالأصابع تحركها الذات، والذات الفاعلة في النص هي مريم التي هي في علاقة وطيدة ببناتها، هذا الحب الذي تحوّل إلى تقليد سلطوي عنيد، فهي ترغب في أن تحرك بناتها الوجهة التي تريدها، لم تترك لهن فرصة الاختيار، لقد حققت الكاتبة صلة بين العنوان والمتن، وجعلت العلاقة بينهما علاقة احتياج، " فكلاهما يحتاج للآخر، فبدون النص يفقد العنوان القدرة على توليد الدلالات، وبدون العنوان لا وجود حقيقي للنص، فهو" علامة تهدف إلى تبئير انتباه المتلقي " [5]،وبالتالي تحوّلت مريم في علاقتها ببناتها كمحرك العرائس أو الدمى الذي يبعث الحياة في ألعابه وفق رغبته فوق ركح مسرح العرائس، الفرق الوحيد بينهما هو أن البنات الأربع " إيمان، نوال، وفاء، ابتسام لهن حياة ومشاعر وأحاسيس، كل واحدة ترغب في اختيار شريك حياتها في رواية أصابع مريم ومبدأ التماهي واضح من خلال عتبة الإهداء:

إلى أخواتي

لأن الحب هو الحياة

الحرية
العدالة
السلام " [6]

والإهداء عتبة نصية لا تخلو من القصدية، وعادة ما يكون " الإهداء لأشخاص تربطهم بالكاتب علاقة إنسانية ما، قد تكون علاقة مودة، فيهدي إليهم عمله، إما لإثبات الذات وتأكيد الوجود، أو للتعالي والتفاخر، وأحيانا يهدي الكاتب عمله إلى نفسه، وفي أحيان يخصص للقارئ، أي المتلقي الحقيقي للعمل.. وقد يكون لشخصية متخيّلة"[7]. لقد خصّت الكاتبة عزيزة الطائي أخواتها بالإهداء، فورد حميميا جمعهن القدر في فضاء مسقط لينطلقن في رحلة، كانت مادة خام للكاتبة لتحوّل بعضا ممّا أحسّت به إلى متخيّل سردي يلامس ويتماهى مع قضايا الراهن.

أمّا التصدير الشعري الذي تلى الإهداء فورد في شكل أسطر شعرية عنونت: **قبل الحكايات**

عندما تكوّم الغبار على الخواتم الذهبية التي نسجتها من خيوط الشمس
من أصابعها قليلا
إلى ذاك الخيط الأبيض النحيل
على الروزنة الصقلية
تحسست اللامع الهش
خبّأت شحنتها في مكان آخر
إن كان هذا يؤثر فيها

يعدّ التصدير من العتبات النصية الهامّة، فهو " اقتباس يتموضع عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه " [8] المنجز الشعري الذي تصدّر الفصول من إبداع الكاتبة، فهي شاعرة أيضا أرادت أن تربط بين المتن والعنوان، والمرأة هي الرابط الموّحد بينهما هي مريم بهيبة حضورها ووقوفها بجانب الروزنة ذلك الديكور المسقطي التراثي معلنة ارتباطها الدائم والأبدي بتقاليد مجتمعها راضخة لتعاليمه وتوجيهاته، ولتجعل من بناتها أصابع تمتد لأفكارها وأهدافها.

فالتعلق واضح بين العنوان والتصدير تحضره أصابع مريم بالدرجة الأولى أما تشكيلة الفصول فحملت المخطط الآتي:

ـ الفصل الأول: ورد في مقدمته التصدير الآتي:" لا تكن بلا حب، كي لانشعر بأنك ميت... في الحب، وابق حيا الى الأبد " [9]. جلال الدين الرومي. ضمّ هذا الفصل جزءا واحدا.

- **الفصل الثاني**: " ليس هناك من ألم أعظم من أن تحبس بداخلك حكاية لم ترو"[10] مايا أنجيلو، وضم هذا الفصل ثمانية أجزاء.

- **الفصل الثالث**:" أريد أن أعيش، وأشعر بجميع الظلال والنغمات والاختلافات العقلية والتجارب الممكنة في حياتي وأنا محدودة للغاية"[11] سيلفيا بلاث، وضم عشر فصول.

- **الفصل الرابع**:" لدي رغبة دفينة، وغير منطوقة لشيء يفوق تفاصيل الحياة اليومية "[12] فرجينيا وولف، وضم هذا الفصل ثمانية فصول.

- **الفصل الخامس**:" أنت يامن وجهك شمس لروحي لا تبتعد عني "[13] شمس التبريزي، ضم هذا الفصل جزئين، وبالتالي شكّل الفصلان الأول و الخامس مقدمة وخاتمة للرواية، أما الفصول: 2، 3، 4 فمثلت ذروة الأحداث.

أحدثت الهوامش الموجودة أسفل صفحات الرواية فارقا واضحا في فهم الرواية، خاصة في تفسير العديد من مصطلحات اللهجة العمانية، وتعريف القارئ بأماكن في سلطنة عمان فبقصد أو دون قصد اشتغلت الرواية على الجانب السياحي، فالسياحة لا ترتبط بالتحديدات الجغرافية " فقد تتحق بواسطة فعل القراءة الذي يدفع بالكثير من القّراء للبحث عن كل ما يتعلق بالنص المقروء، سواء تعلق الأمر بالكاتب وبموطنه، أو منزله أو عائلته، أي التركيز على السياقات الخارجية أو ما تعلق بالبنية السردية للنص خاصة الشخصيات والزمان والمكان، فعنصر التحفيز يحقق الجانب الانتقالي للقارئ السائح، فقد أثبتت مقروئية النصوص الروائية في العالم انتقال العديد من السياح إلى مدن بعينها بدافع الفضول القرائي والشغف بشخصيات الأعمال الروائية التي طالعوها"[14]. ارتبطت مدينة مسقط بهذه النصوص التهميشية، فبرزت شوارعها وعاداتها وتقاليد، مدينة انفتحت على عوالم الذات وصراعاتها، وخاصة ما تعلق الأمر بالمرأة وطموحاتها وطريقة تفكيرها. لم تكثر الكاتبة عزيزة الطائي في توظيف التهميش التفسيري، نحصي- تقريبا- ثماني مناصصات[15]. توّزعت بين الفصول تحضر في موعدها لإنارة درب القارئ، وكان أكثرها متعلقا بمسقط ومناطقها كمنطقة مطرح، نقرأ:" من أكبر الأسواق التقليدية العتيقة التي تبيع اللوازم التراثية والشعبية في قلب لعاصمة مسقط "[16].

لقد عارض العديد من النقاد توظيف هذه التقنية، محاولين تفسير ذلك بضرورة مشاركة القارئ في تفسير الرواية، ومحاولة إخراجه من حالة الركود إلى حالة الحركية عن طريق القراءة، إلاّ أنّ هذه العتبات تلعب دورا بارزا ومحفزا عند قراءة الرواية، خاصة وأنّ القرّاء مختلفون.

3.الفضاء المسقطي في رواية أصابع مريم.

يتشكل المكان الروائي المتخيّل من إحساس الكاتب بالمكان الواقعي، فيحوّل هذه الدلالة إلى أخرى إيحائية ترتبط بأحوال الشخصيات ونفسياتهم، من هذه الأمكنة، نجد:

أ. شارع الحب بالقرم.

يعدّ هذا المكان من الأمكنة المشهورة في العاصمة مسقط، وهو شارع طويل منفتح على البحر مباشرة يضم مجموعة من المقاهي، وتكثر في الحركة، خاصة ما تعلق منها بحركة السياح الأجانب، والعديد من العمانيين والوافدين الذين يفضلون التوقف عند حافته، والاستمتاع بمناظر البحر والنوارس. أما من الناحية النفسية، فالشارع لقّب بشارع الحب، لأنه يستقبل حالات العشاق الكثيرة، نقرأ:" في مساء ذي نسيم عليل، كان الشارع مزدحما بالأقاويل والهمسات والإثارات من النساء والرجال، سارت ابتسام إلى مقهى في شارع الحب بالقرم، لا يكف عن استقبال حالات العشق والغرام..."[17]. لكن رغم هذا الانفتاح يبدو أنّ إحساس ابتسام مغلق بسبب الشرخ الذي بدأ يتسع بينها وبين مدينتها. تتعدّد الأصوات في رواية أصابع مريم، لكن الصوت الأكثر بروزا هو صوت ابتسام، منظور أطر الأحداث من بداية الفصل إلى نهاية الفصل الأخير. فتاة تبحث عن الحرية وترفض ما يملي من طرف والدتها التي تمثل المدينة المحافظة وإن بدت مظاهرها منفتحة على الثقافات، ترفض ابتسام أي رضوخ مهما كان نوعه، لذلك فإدراكها للحرية أصبح هاجسا يطاردها حتى في الأماكن التي ظنّت بأنّ تجد فيها متنفسا للحرية.

ب. شارع السلطان قابوس.

إنّ علاقة المكان بالشخصية علاقة ألفة وتكامل، تتحقق وظيفتها في النصوص الروائية بتوظيف تقنية الوصف، نقرأ: " كانت حركة الناس في صباح ذلك اليوم على خط شارع السلطان قابوس الذي يخترق العاصمة مسقط سريعة، حتى تكاد السيارات على طوله أن توقف حركة السير لشدة الزحام، بدت النساء داخل السيارات بعباياتهن المزركشة والملوّنة ونظاراتهن الشمسية، والمساحيق والأصباغ التي أخفت كل ما يكشف عن ملامح وجوههن وتعابيرها، كل ما يبرز ثقل أجسادهن وهوانها. بينما بدا الرجال وكأنهم ينفضون عن وجوههم غبار الزمن الحالك، كل حائر بموقعه مطوّقا بوظيفته ومسعاه، وربما لا يطيق الرجوع إلى منزله الذي آل جزءا من ضجيج المدينة وتناقضاتها "[18] بالرغم من أن صوت إبتسام هو البارز في السرد في الرواية، إلاّ أن رواية أصابع مريم منجز انفتح على تعدّد الأصوات، فحضر صوت نوال أصبع من الأصابع، وهي تصف لنا المقطع السردي السابق، إنّ البحث عن الحرية أمر شاق لنوال وأخواتها، فكل شيء تغيّر

في مدينة مسقط، هن لا يبحثن عن حرية زائفة شعارها السيارات ومساحيق التجميل، بل يبحثن عن حرية الاختيار وإثبات الذات.

4. مسقط ملتقى القرية والمدينة.

تثير علاقة الأبوين حمد ومريم العديد من القضايا في الرواية، فالحوارات المثيرة مع الشباب تبرز اتجاهين متناقضين تماما، جمع بينهما الزواج، فكانت الثمرة أربع بنات يملنّ إلى أفكار والدهن حمد، ومن القضايا المختلف فيها بين حمد ومريم ثنائية القرية والمدينة، فالأب من عائلة محافظة من ولاية نزوى في محافظة الداخلية، ومريم من ولاية صور في محافظة الشرقية الساحلية، أما مسقط فوحدت بين الطرفين في منطقة القرم، أين اجتمعت نزوى وصور. قدّم حمد رؤيته لثقافة المدينة على أنها:

" تعتمد على صفتين، هما: الذكورية والطبقية... لأن المدينة تجمع كل الفئات والمتناقضات والمتضادات.. نعم يا ابنتي، فالعلاقة في القرية بها من الحب الإنساني بين كائنين متساويين، بينما الحب في المدينة بين سيد وجارية "[19]. تواجه مريم هذه الأفكار برد عنيف " كلامك غير صحيح، فخالتي هند غردت خارج السرب، وعشقت في صباها ابن صانع السفن واحترق حبها معها، وعمتي عائشة بقيت جارية في قريتها ترتدي همومها دون أن يشعر أحد بألمها، وهما من القرية، بينما أنا ابنة المدينة عشت بأفكاري وقناعاتي.. "[20]، وبين أم تحاول إثبات أفكارها وإيمانها بمبادئ الأسرة العمانية المحافظة، وأب متشبع بأفكار التحرّر والاختلاف، تعيش أربع بنات الثنائيات الضدية، فكن أكثر ميلا إلى أفكار الأب الذي انتقده أهل الحي حتى أطلقوا عليه بالغريب والشاذ، "فكلهم أصبح يؤكد أنه بعيد عن واقعه ومجتمعه، كما وصفوه بالمتقوقع والسلبي، أو العلماني والملحد.. فبدا حزينا، ساهم النظرات، منغلقا في عالمه الخاص.. كما لو أن كل ما حوله لا قيمة له إلاّ بناته اللواتي يخشى عليهن من التعثر في الحياة، والإستسلام لمخلفات المجتمع.. "[21]. بالرغم من أنّ حمد شخصية غريبة بالنسبة لزوجته وأهل الحي، إلّا أنه " كان عاشقا لوطنه، حتى أنه من سنوات من زواجه ظل الحنين يسكنه إلى تلك القرى العمانية البعيدة، خاصة قرى مسقط رأسه نزوى التي تحيط بها السلاسل الجبلية من جميع الجهات، كان هذا الحنين مشحونا بذاكرة أصابها الموت والفقد، وعوالم كثيرة بين الخيال والممكن والأساطير حتى بدت روحه مفتوحة على عوالم الممكن والمتخيّل بين الحارات القديمة بأفلاجها وحصونها، وتراص بيوتها الطينية، والوديان والصحراء.. "[22]. إنّ حضور القرية في الرواية وارتباط الذات بها ثيمة تميّز النصوص السردية العمانية، " وقد عاش العمانيون في هذه الأجواء محاوليين التكيّف مع مكونات بيئتهم المحلية، باذلين فيها أقصى ما يمكن بذله من مجهود لتعود عليهم بالخير والعطاء.. "[23]. يبدو أنّ القرية المهد الأول لمفهوم الوطن

لا يختلف فيه حمد ومريم، يرى في مظاهرها الصدق الذي فقد في المدينة، فحمد يحاكي صمود الجبال وشموخها، نقرأ: تلك القرية الجبلية الوادعة، التي اختار أهلها أن يقطنوا بين كهوف الجبال الممتدة في علوها واتساعها، وخلقوا منها في الزمن الغابر مساحة للحياة.. "[24]. لقد مثّل الشيخ المسن الذي إلتقاه في قرية **مسفاة العبرين** صوت التراث والضمير الذي ينادي أبناء الوطن للعودة إلى أراضيهم، وقد وُجّه خطاب الشيخ باللهجة العمانية، نقرأ:

- أبغي أشم فيكم ريحة ذيلاك الناس بوساروا، ومارودوا.
- بلادكم بوسرتو عنها وما رجعتولها تشتاق لكم.
- هذه نخيل أجدادكم يا أولادي ذابلة ذبول غيابهم.
- وهذه المياه إلي تسمع خريرها من حصى الوادي، والفلج تحكي لكم عن ناسها.

وذيك المقبرة بومهجورة، يمكن تلقى حد من أهلك بينها "[25].

لقد عزف الشيخ على الجرح وأدرك أنّ الحرية ليست في المدينة أو في مظاهرها، " لذلك ظلّ حمد يحكي عن طفولته لصغيراته، وعن رحلاته لتلك الأماكن التي اندرس رسمها بمنازلها القديمة، وتلالها الممتدة، وفضاءاتها الرحبة، يلبسه الحنين صوب الفلج، ويأخذه الوجد إلى صمود الجبل، وأساطير عتمة الليل، وأحاديث الجان. يحدث عنها صغيراته حين يطلبن منه أن يسرد لهن شيئا من الحكايات والمغامرات التي يتذكرها بحسرة وألم "[26] يحمل هذا المقطع السردي وحدات دلالية تتكرّر في الرواية العمانية مهما اختلفت موضوعاتها: القرية، الجبل، المياه، الأفلاج، الليل، الجان.. "ويعتبر الفلج أحد مكوّنات البيئة القروية في عمان "[27]. هذه الصلة الوطيدة بين حمد والقرية، جعلت منه شخصية منزوية في المدينة، المليئة بالتناقضات الغريبة والرهيبة، فضاء مادي تسوده غلبة المصلحة والصداقة الزائفة في أغلب الحالات:

" وبعد توالي العثرات والإحباطات عليه جفاه من إصطفاهم من زملاء، وبقي يحدث نفسه كيف للقدر أن يتركه لمصير لا يعلمه، وذاته أين هي؟ لماذا العلاقات بين الصحب تبدو آنية تنقضي مع انقضاء المصلحة والمراد؟" [28].

لقد كانت القرية المعادل المضاد الموضوعي للمدينة، تختلف عنها في الخصوصية الاجتماعية والأخلاقية. يبحث حمد عن فضاء للحرية لا يتنافى مع حب الوطن والتمسك بالتراث، وينفر من عالم المدينة الذي ساده النفاق والزّيف والمظاهر الخادعة، وصداقات المصلحة، وفي مسار هذا التناقض يؤكد حمد أنّ " المجتمع سائر إلى التطوّر والتحديث، حتى قُراه التي تتحدثين عنها لم تعد كما كانت " [29].

5. مسقط / المرأة / الحرية.

يبدو أنّ الكاتبة عزيزة الطائي بذلت جهدا واضحا في الاشتغال على هذه الثلاثية التي شكلت المحور الأول في الرواية، فالوحدات الثلاث مسقط، المرأة، الحرية فضاء تدور في فلكه العديد من شخصيات الرواية التي عكست معاناة الذات في مواجهة العادات ويوميات المجتمعات العربية والتقاليد والتعصب.

تتحدد هذه الوحدات من خلال علاقات الشخصيات بعضها ببعض في الرواية.

أ. علاقة مريم / حمد.

تصوّر الرواية من خلال هذه العلاقة، صورة معطوبة داخل مؤسسة الزواج، فالبرغم من أنّ مريم أعجبت بحمد الذي تقدذم لخطبتها وأسست معه اسرة اكتملت بأربع بنات إلاّ أن القارئ يجدها شخصية مشوّشة، وتلك هواجس الأنثى التي جعلتها تعيش المعاناة بكل أبعادها النفسية والحسيّة، نقرأ مقطعا عن حياتها:

" نشأت مريم، وكلمة بنت تمثل أكثر من مجرد كلمة، أكثر من عرف، أكثر من تقليد، فالبنت شرف العائلة وحرمتها، بينما كلمة ولد تعني مصدر العز والفخر والانتماء.. فكل ما يتوج به أو تطلبه ينظر له أحيانا على أنه خطأ بالغ، أو مطلب يتجاوز النواميس أو الأعراف الإجتماعية "[30]. لم تكتف مريم بسرد وضعيتها في الماضي والحاضر، فراحت تستعرض قصص عمتها عائشة وخالتها هند، بتوظيف تقنية التضمين من قبل الكاتبة التي قادت القارئ إلى مدينة صور في شهر الحب 14 فبراير 1971. يعمل نظام التضمين على نقل قصص متضمنة ضمن القصة المؤطرة للأحداث، وهو الإتجاه الذي سلكته الرواية العربية الجديدة في تأثرها بالأشكال التراثية للسرد العربي، إذ " بنت شهرزاد سردها في ألف ليلة وليلة على أساس التضمين، بحيث تتضمن القصة الإطار قصصا أخرى بداخلها تتعايش وتتقاطع معها وهذه طبيعة الرواية باعتبارها نسيجا لغويا تجتمع في ثناياه نصوص أخرى متغيّرة المستويات متعدّدة الأشكال "[31] . عمتها عائشة تعرّضت لظلم العادات والتقاليد فلم تتزوج وبقيت عانسا، لأن أمّها نذرت عند ولادتها ألّا يتزوجها إلاّ ابن عمتها.. ظلت تنتظره لسنوات عديدة لكن ابن عمتها تزوّج أخرى، ولم يبادلها شعور المودّة والحب أمّا خالتها هند، فكانت الأكثر تأثيرا أحبت سعيد ابن سالم صانع السفن الشراعية، " وهو كما رأى أهلها أنها ارتكبت جرما كبيرا حين مالت عواطفها لشخص أقل من مستوى قبيلتها حتى كادو أن يرجموها.. فهند بنت تاجر السفن.. بينما سعيد والده يعمل أجيرا عند والدها، لذلك فضّلت هند أن تحتفظ بحبها وجسدها ورفضت كل من تقدم لخطبتها [32] عانت هند ويلات الضرب والشتم عند تقدم سعيد لخطبتها " في اليوم التالي قررا الانتحار معا وأشعلا على نفسيهما الغز تحت الغافة التي

كتمت اسرار حبهما.. ضجت مدينة صور تلك الليلة، وانقسم الناس بين متعاطف وساخط، ولكن بقيت ذكرى حبهما رمزا للحب العظيم، تناقله أحاديث الناس وأقاويلهم إلى يومنا هذا.. كان هذا اليوم رغم شدة بلائه وعصفه.. يوما لطيفا من أيّام شهر الحب 24 فبراير 1971، حين ذرفت السماء ماءها، وانتشرت على الصخور والصحراء الأرض قطرات من لون الذهب آلت إلى رماد.. "[33]. كانت مريم أكثر حظا من عمتها عائشة وخالتها هند، فقد حظيت بفرصة التعليم واختيار الزوج إلاّ أنها شخصية معقدة البناء، رغم ما رأته من ظلم للمرأة وهضم العديد من حقوقها إلّا أنها " انقلبت إلى إمرأة متمثلة لعادات مجتمعها وتقاليده، فبقيت بمعزل عن العالم الخارجي المحيط بها، وما يحدث فيه من تطوّر سريع "[34]. تكوّنت علاقة صراع بين مريم وزوجها محمد، زادت الهواجس وكثرت الفوارق في ذهنية مريم، وحتى بعد أن رزقت بالبنات بقيت تمنى نفسها بولد لتزداد العلاقة بينها وبين زوجها وأهله، وهذه الثيمة تتداول كثيرا في الرواية العربية، فحتى الزوجة الولود لا تنجو بدورها من توجيه أصابع الاتهام نحوها فهي الأخرى تعيش المعاناة ذاتها إن كان رحمها ينجب إناثا، وتظل تنجب حتى يأتي الولد الذكر.. "[35]. إلاّ أنّ هذا العرف سرعان ما تذيبه أفكار حمد المنفتحة على آفاق أوسع حينما يصدح بآرائه: "وكان حمد يضجك ضحكة عالية حين يسمع والدته تكرر عليه فكرة الزواج من أخرى، ويبدأ بالهجوم على مثل هكذا أفكار واعتقادات، فينشرح صدر مريم.." [36]، وبالرغم من سلمية حمد معها، وليونته في التعامل مع صرامتها وانفعالاتها إلاّ أن مريم دائمة التوّجس من زوجها، حتى بعد وفاته تحملت مسؤولية البنات، وزادت سيطرتها وقوتها رغم صعوبة المهمة، حيث " أضحى بيت مريم بعد موت حمد، وكأنه يقع في تجويف على مقربة من واد ضيّق عميق على تخوم ضاحية من ضواحي مسقط.."[37].

ب. مريم / الأربع أصابع.

تتغلغل الرواية في وصف العلاقات النفسية والاجتماعية في الأسرة العمانية التي ماهي إلاّ نموذجا للأسرة العربية شكل موت الزوج حمد تكوّن شخصية جديدة لمريم أكثر سيطرة وتسلط، وعادة الروايات العربية أن تسند هذه الصفات للأب، فتبرز ثيمة الأبوية في الأسر العربية أمّا أن تسند هذه المهمة للأم، فهذا يستدعي الإهتمام بالموضوع المتطرق له من قبل الكاتبة، فصراع امرأة امرأة أكثر تعقيدا، وأكثر صعوبة، " فمريم تغيّرت مع مرور الزمن، ثم تغيرت مرات عديدة، حتى أنها كادت أن تمارس دورة سيدة، بل سيد المنزل بجدارة، ومع مرور الوقت أصبحت أكثر صلابة، أكثر انغلاقا.. "[38]. فزادت الهوة بين الأم وبناتها نوال، إيمان، وفاء، إبتسام وقادتهن الأقدار إلى نهايات قاسية، كان سببها الأول قرارات مريم، وفرض رأيها في زواجهن، فوفاء تزوجت من آخر غير جلال الذي أحبته، ونوال رجعت من الغربة وقد خسرت علاقتها الزوجية، أمّا إيمان فأحبت محمود وتزوجت بهاشم بقرار من أمّها، أمّا ابتسام فلم تتزوج بعد رفض مريم لحسين زميلها في الطب،

والتقت به مجددا بعد زواجه ومرض زوجته بالسرطان. يبدو أن مريم نجحت في وأد حب بناتها، وفرض سيطرتها.

6. مسقط / المرأة / الوطن.

اختارت الكاتبة عزيزة الطائي الغوص في أعماق الذات وفضلت أن تنتشل المرأة من الصورة التقليدية التي ارتسمت لها في الروايات العربية، "فإذا حدث وأن كرّمت المرأة في الأدب، وانتشلتها الكتابات بمختلف انتماءاتها الأجناسية من فضاء الهامش، فضاء الجسد، فضاء المتعة، فإنّ هذا التكريم لا يعدو اختزال المرأة / الإنسان في صورة الوطن، كما يختزل الوطن في صورة المرأة، ووفق تقنية الترميز والتي تجعل المرأة رمز الوطن "[39].

تسمو القيم في الرواية إذا اجتمعت ثلاثية المرأة / الأم / الوطن كثلاثية متطابقة بالرغم من أنّ أطراف الصراع في الرواية يتجاذبهم الاختلاف في وجهات النظر والرؤى تمثيل درامي لصراع الأجيال، إلاّ أن الجيل الجديد لا يجادل في أمور العادات والتقاليد العمانية التي وجدت لها مكانا في نفسية بنات مريم، وتكتمل صورة الالتحام بين المرأة والوطن في ذلك المشهد السردي الذي جمع وفاء بجلال في كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس في مسابقة الأنشطة الإبداعية، حيث بادرها بالخطاب الآتي: " أنت عمان بأكملها "[40] ولم تكتف الكاتبة ببعث هذه العبارات المشحونة، بطاقة الحب والامتنان للوطن بل أكدّت هذه المقولة رسالة من جلال:" بعض النساء.. وطن.. لا يخمد الحنين إليه مهما مرّ العمر، ووهن القلب.. يا أحلى وردة وأنقى زهر "[41]. ففي لحظات التشتت، والبحث عن الانتماء يبحث جلال عن الوطن الموّحد في علاقته بوفاء، فتتماهى وفاء بالوطن وبالمدينة ولتأكد وفاء هذا التماهي فقد " أحبت من الأكلات البابلو، والحليم، وأجادت صنع حلوة الكيراه، ولبست في بعض المناسبات التقليدية الزي التقليدي البلوشي"[42] ، هي ثورة ناعمة ضد عادات وتقاليد فرضت على وطن موحد، وهي مواجهة حادة بين أم وإبنتها، فعلى الرغم من تهديدات مريم ورفضها لهذا الزي إلاّ أنّ وفاء تمسكت به وأرتده بكل فخر، فالزيّ البلوشي " من ثقافة الأزياء الشعبية العمانية الجميلة الأنيقة التي تبرز أنوثة المرأة بحليه وإكسوسواراته، وما يميّزه من نقوش خلابة، وتمازج ألوان بارعة شغلته أياد ماهرة "[43].

تكسب علاقة وطن / إمرأة المقاطع السردية انسجاما وتمنح الكاتبة نفسا طويلا لسرد ما تشعر به خاصة ما تعلق الأمر بالوطن ووحدته، ونبذ روح التعصب والتفرقة على أساس القبيلة أو العرف، خاصة وأنّ جلال رمز لعماني الشريف الوفي لوطنه و".. كان يروي لها عن دور أجداده ولحمتهم في سبيل بناء قوة عمان والدفاع عنها... تسعد بحديثه، تبتسم له، ويردد لها بين ثنايا

حديثه بعضا أشعاره في عمان، وتنتشي أكثر حين يربط حبهما بعمان فتغدو وفاء بين رموز كلماته وفحواها المرأة الوطن.. "[44].

أمّا علاقة ابتسام بحسين فارتبطت بمدينة مطرح، حيث " صارت تنظر لحياتها كالألوان المنقوشة على جداريات المآتم، ومسجد الرسول الأعظم المواجه لكورنيش مطرح حيث تتعانق ألوان الزركشات مع نبض الزخرفات لتعطي أبهج الأشكال، في يوم عاشوراء رأت ابتسام في المنام حسين سائرا في الطريق الطويل بين المظلات واللافتات المعلقة أمام أبواب الحوانيت في سوق الظلام بمطرح "[45] لا ترغب الكاتبة في رفض أي علاقة تربط الوطن بأبنائه، ولعل علاقة ابتسام بحسين من أبرز مقومات السرد في الرواية، فعلى الرغم من أن العلاقة لم تنجح سرديا. إلاّ أن لقاءها في نهاية الرواية شكل علاقة دالة على الوحدة الوطنية التي ترمز لها منطقة مطرح الأثرية.

" إنّ الخصوصيات المحلية بكل تلويناتها واختلافاتها تثري الهوية وتكون حاملا لها لكن لا تلغيها "[46]، تميّزت طريقة سرد الكاتبة عزيزة الطائي بالتدرج في السرد، وإحداث التشابك في العلاقات بين شخصيات الرواية، بدأت بسرد الذات ثم العائلة المصغرة، ثم المدينة، وفي النهاية الوطن، ولعل المقطع السردي الآتي يلخص أفكارا كثيرة فاضت بها مدينة مسقط:" وفكرت أيضا.. كيف تكون البلاد تتغنى بالسلام والتسامح، ويصنف أهلها بين أرصفة عتبات مدنها إلى طرائق ومقامات وأجناس؟ هذا حي البلوش، وذلك سور اللواتية، وتلك حلة العجم، والأخرى للعرب،.. هنا مقبرة السنة، وتلك مقبرة الشيعة، وهذه للغباضية.. قالت عندما لمحت مسجد جابر بن زيد، ومررت بمسجد فاطمة الزهراء، ثم انعطفت بها السيارة إلى مسجد أسماء بنت الصديق، حتى المساجد ضاقت أن تجمع أمة محمد.. نفضت رأسها، تمنت لو تتسع لها الأمكنة، وتتصالح مع كل من حولها حتى المجانين والمتسولين والمعتوهين.. تصافحهم باليد، وتنشر لهم الزهر، وتسقيهم ماء الورد.. تمنت لو ترى راية بيضاء ترفرف في قمم الجوامع يهدل فوقها الحمام، وتمنت لو كانت شعارات السلام تملأ قلوب الأحياء "[47]. المقطع السردي يؤكد توّجه الكاتبة من خلال سرد ابتسام، هي تبحث عن الوحدة، وتنبذ التفرقة والتشتت.

7. مسقط والقضية الفلسطينية.

لم تستثن الكاتبة القضية الفلسطينية من قضايا روايتها، فأشارت إليها من باب شخصية حمد الذي عكس وعيا قوميا وحضاريا وانسانيا لهذه القضية، "فما الذي يضيفه الأدب إن لم يكن هو إضافة زائدة علينا؟ أليس كل مكتوب في النهاية هو تعبير عن نفس صاحبه فقط؟ وتجسيد لتجربة خاضها، أو شعور استشعره حتى فاض؟"[48]. أنه شعور الواجب، فالكتاب يتحسسون الأحداث

والقضايا أكثر من غيرهم. على الرغم من أنّ حمد يميل إلى الثقافة الغربية في العديد من سلوكاته إلاّ أنّ روح القومية واستشعار النخوة العربية لا يزالان يسريان في دمه. أفكار التحرّر لا تشمل الذات فحسب، بل زرع حمد في بناته حب الأمة العربية وكره الاضطهاد والاستعمار بشتى صوره " وبقين يفخرن بكلماته التي يرددها دوما أنه سيعيش لأجل الإنسانية، وسيبقى عربيا خالصا حتى تعود الأرض المقدسة، ويحل السلام والعدالة في الأراضي العربية "[49].

لم تقف الكاتبة عزيزة الطائي في روايتها اصابع مريم عند حدود الحديث عن العروبة والقضية الفلسطينية، بل قدّمت أنموذجا عن تعلق العماني بهذه القضية، نوال هي الشخصية التي تعلقت بفلسطين من خلال ارتباطها بأستاذها الفلسطيني، أفكار والدها تغلغلت في عقلها وتعلقت بروحها كالماء للنبات، يتشارك الأستاذ الفلسطيني مع حمد والد نوال في رؤيتهما للقضية الفلسطينية من منظور قومي، كانت تريد أن تقول لأمها:" إنني رأيت فيه والدي بعنفوانه، وثقافته، وفكره ونفوره من المجتمع الشرقي وهزائمه... وإنه يحمل قضيته في شرايين مهجته، وإن التغيير شرط الوجود الإنساني، وهو في معركته يحمل التحرير، وكأنه صاحب تجربة قادم من تفاصيل الأرض المقدسة حيث البقاء التاريخ الإنساني الجميل المكتوب على ضفاف القدس الشريف.. "[50]. إنّ هموم التهجير، وجمر الغربة، وضياع الفلسطيني تؤرق الأستاذ، إلاّ أنّ نوال تتمسك بمبدأ والدها، وهو المقاومة، نقرأ:" إنّ الرصاصة من عدوي لا تقتلني بل تزيدني قوة، وأنّ المجاهد لا يلقي بسلاحه، حتى وإن أصيب بالتهجير وسط تلك الظروف الصعبة.. وإنه طفل الحجارة الذي غدا جنديا يقاوم جبروت الصهاينة رافضا الاستسلام.." [51]. إنّ الحديث عن القضية الفلسطينية مرتبط بالحديث عن حرية الذات، التحرّر من عقدة الخوف والهروب، الحرية بمفهومها الواسع هي بقاء الطفل الفلسطيني يقاوم ولو بالحجارة.

يتحصل ممّا تقدّم طرحه النقاط الآتية:

. أنّ رواية أصابع مريم للكاتبة عزيزة الطائي منجز ينتمي إلى السرد البوليفوني؛ حيث تعددت الأصوات على الرغم من أنّ صوت ابتسام قد غلب نوعا ما، كل صوت يسرد قصته في إطار قضية البحث عن الذات المكبّلة بقيود العادات والتقاليد والمجتمعات العربية المحافظة.

. شكل تتالي العتبات النصية وتمازج الشعر بالنثر جمالية في الرواية. كما قادت المناصصات الموجودة أسفل بعض من الصفاحات الرواية إلى التوجه وجهة الخطاب السياحي الذي يعرف بمدينة مسقط وشوارعها.

.أعادت الرواية طرح ثنائية مدينة/ قرية، ومسائل التراث والهوية والوطن والقضية الفلسطينية.

. لقد تعدّدت الأفكار في الرواية وتناقضت، فبرز مصطلح التناقض المسقطي، حيث تحوّلت مسقط إلى ركح يشهد صراع الأجيال، جيل تقليدي يغلب العرف والعادات على فكرة الانفتاح والتحرّر، مثلته مريم بجدارة، وجيل جديد يقاوم ويتصدى بأفكاره الجديدة مثّلته البنات الأربع.

. تؤكد الكاتبة عزيزة الطائي من خلال هذا الصراع فكرة أنّ مسقط تحوي الجميع، الأجيال القديمة والأجيال الجديدة، الشيعي والبلوشي، لا اختلاف في حب الوطن والنهوض به، وعلى الرغم من أنّ الجيل التقليدي هيمن في الأخير، إلاّ أنّ الكاتبة فتحت نافذة أمل للحديث عن قضية صراع الأجيال، وقضايا حرية المرأة التي لاتنتهي، فهي الموضوع القديم الجديد.

الهوامـش:

(1) عزيزة الطائي كاتبة وناقدة وشاعرة عمانية تنتمي إلى عائلة أدبية مثقفة، والدها الأديب الشاعر عبد الله الطائي رحمه الله، فازت في مجال الشعر بجائزة الشارقة لأبداعات المرأة الخليجية في دولاتها الثانية 2018.2019 والتي أعلنها المكتب الثقافي الإعلامي بالمجلس الأعلى لشؤون الأسرة بالشارقة، عن منجزها الشعري خذ بيدي فقد رحل الخريف. مسارها الإبداعي حافل بالمنجزات الأدبية مثل: كتاب ثقافة الطفل، الخطاب السردي العماني، ديوان شعر موج خارج البحر، مجموعة في القصة القصيرة جدا، ورواية أرض الغياب.

(2) - عزيزة الطائي، أصابع مريم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2020.

(3) - بهيجة مصري إدلب، العتبات النصية في الرواية النسائية السعودية، تخصيب الرؤية، المجلة الثقافية الجزائرية، الموقع الالكتروني: thakafamag.com آخر تحديث 22.1.2011

(4) -Gérard genette, palimpsestes, la littérature au second degré Edition du seuil , paris 1982, p10.

(5) - شعيب حليفي، هوية العلامات، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، 2005 ، ص 11.

(6) - عزيزة الطائي، أصابع مريم، ص 5.

(7) - عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنية والدلالة، شركة رابطة، ط1، 1996، ص 21.

(8) - عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى التناص)، تقديم سعيد يقطين، منشورات الأختلاف، الجزائر، ص 107.

(9) - الرواية، ص 9.

(10) - الرواية، ص 19.

(11) - الرواية، ص 121.

(12) - الرواية، ص 239.

(13) - الرواية، ص 317.

(14) - نوال بومعزة، تجليات الخطاب السياحي في الرواية العمانية، المجلة الثقافية، العدد الثلاثون، جمادى الآخرة، 1440 فبراير 2019، مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم، سلطنة عمان.

(15) - تتوزع الصفحات كالآتي: ص11 – ص 33 – ص 63 – ص 84 – ص 124 – ص 169- ص 200 – ص 288.

(16) - الرواية، ص 84.

(17) - الرواية، ص 11.

(18) - الرواية، ص 190.

(19) - الرواية، ص 26.

(20) - الرواية، ص 26.

(21) - الرواية، ص 29.

(22) - الرواية، ص 53.

(23) - فوزية بنت سيف الفهدي، المكان في القصة العمانية، الواقع والمتخيل، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان /
ط1، 2015، ص14.

(24) - الرواية، ص 54.

(25) - الرواية، صص 54 – 55.

(26) - الرواية، ص 55.

(27) - فوزية بنت سيف الفهدي، المكان في القصة العمانية الواقع والمتخيّل، ص 30.

(28) - الرواية، ص 90.

(29) - الرواية، ص 32.

(30) - الرواية، ص 41.

(31) - فتحي بوخالفة ، التجربة الروائية المغاربية ، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة ، اربد ، عالم الكتب الحديث ،
ط 1، 2010، ص 17.

(32) - الرواية، ص 46.

(33) - الرواية، ص 47.

(34) - الرواية، ص 48.

(35) - سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية العربية، دار التنوير، الجزائر، ط 1، 2013، ص 120.

(36) - الرواية، ص 48.

(37) الرواية، ص 100.

(38)- الرواية ص 101.

(39) - سعيدة بن بوزة، الهوية والإختلاف في الرواية النسوية العربية، ص 190.

(40) - الرواية، ص 167.

(41) - الرواية، ص 168.

(42) - الرواية، ص 169.

(43) - الرواية، ص 170.

(44) - الرواية، ص 173.

(45) - الرواية، ص 253.

(46) - سعيدة بنت بوزة، الهوية والإختلاف في الرواية النسوية العربية، ص 256.

(47) - الرواية، ص 231.

(48) - محمد الخشاب، فلسطين.. يحررها الأدب العربي، موقع مدونات:
http://www.aljazeera.net/blogs/2017/12/28.

(49) - الرواية، ص 30.

(50) - الرواية، ص 209.

(51) - الرواية، ص 209.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. عزيزة الطائي، أصابع مريم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2020.

المراجع:

1. بهيجة مصري إدلب، العتبات النصية في الرواية النسائية السعودية، تخصيب الرؤية، المجلة الثقافية الجزائرية، الموقع الالكتروني: thakafamag.com آخر تحديث 22.1.2011
2. سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية العربية، دار التنوير، الجزائر، ط 1، 2013.
3. شعيب حليفي، هوية العلامات، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، 2005 .
4. عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى التناص)، تقديم سعيد يقطين، منشورات الأختلاف، الجزائر.
5. عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنية والدلالة، شركة رابطة، ط1، 1996.
6. فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، اربد، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010، ص 17.
7. فوزية بنت سيف الفهدي، المكان في القصة العمانية، الواقع والمتخيل، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان / ط1، 2015.
8. محمد الخشاب، فلسطين.. يحررها الأدب العربي، موقع مدونات:

http://www.aljazeera.net/blogs/2017/12/28

9. نوال بومعزة، تجليات الخطاب السياحي في الرواية العمانية، المجلة الثقافية، العدد الثلاثون، جمادى الآخرة، 1440 فبراير 2019، مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم، سلطنة عمان.

المراجع الأجنبية:

- Gerard genette, palimpsestes, la littérature au second degré, édition du seuil, paris 1982, p10.